

قصة قصيرة

العازفة الزرقاء

أحمد بوزقور *

الأوركسترا كاملة على المسرح. المايسترو يدير وجهه إلى الجمهور، يلقى على القاعة الغاصة بالصمت والترقب نظرة متفحصـة وإصغاء مرهفًا يستقصي بهما أي حركة/ نامة لم تسكن/ فتدوم وجه المنفحص تسترخي قسمات وجهه المنفحص المصغى، يعبر مقدمة المسرح في خطوات عجلةً إلى الكواليس على اليسار.. دقيقة أو قرابة.. ثم يعود بها: سيدة في حوالٍ، الأربعين، تلبس ثوبًا أزرق من قطعة واحدة يهبط من صدرها حيث منبت الشهدين ضيقًا إلى الخصر، ثم يتسع حتى تحظى بحافته الرفافة القدمين، فلا يبين منهما إلا راسا الحداثين الأسودين. أعلى الصدر عارٍ إلا من شريط أزرق يحيط بالعنق ملتصقًا بالجلد، والذراعان عاريتان، وفوق الراس شعر أصهب مسزحًا من اليمين إلى

اليسار، ومتصاعدًا في الكثافة من الأمام إلى الوراء حتى ينتهي بما يبدو لمة معقودة خلف الراس. في شحمتي الأذنين حليتان لاصقتان بهما لا يكاد يميزهما إلا لونهما الأزرق الفاتح، وعلى العينين نظارتان بيضاوا الزجاج، بإطار مشرب الحمرة يكاد يذوب في لون الجلد العاري على الوجه والصدر والذراعين.

يقود المايسترو السيدة الزرقاء إلى مقدمة المسرح حيث تنحني أمام الجمهور المصقف، فتدوم من خلفها الأوركسترا الباذخة بمختلف الآلات الكلاسيكية مع غلبة الكمانات. تجلس السيدة في مواجهة المخفجرين، على يسار المايسترو الموالي ظهره لهم. تمسك بيدها اليمنى التها، آلة نفخ بمفاتيح، تشبه السيدة في شكلها الخارجي، لونها رمادي مائل إلى الزرقه، رقيقة الأعلى، لكنها تنسع بالتدرج مع اتجاه العين نحو نهايتها السفلى،

أعرف أن هذا مضحك. لكن إن لم يتحول

الحب إلى ذكرى فلن يكون حبًا. الحب ذكرى فقط. اليمامات أيضًا ذكريات وليست طيورًا. تهب من الماضي باجحة ملتهبة، وتحرق وجوهنا. أعرف أنك ما أحببتي يا اليس. لكن هذا لم يكن أمرًا فظيعاً. فأنهم أن أحب أنت. أن تضع يدك على موضع الألم، وأن تكسر بعبدك شعاع نجمة الزهرة.

أتذكرك يا اليس. أدخل يدي في شق الأبد وأنذركه. أمسك عود البرقي ثم أظن وأنذرك.

غير أن الأمور معقدة جداً، فالحب ذاته لا

يعرف ذاته.

عبرت أمس حافياً حقل الشوفان البري عند الفجر، فأغرق الندى قديمي. وكان هذا كافياً كي أموح وأموح ذكراك.

القدم حافلة عدم كبيرة يا اليس. لذا أمشي كي أسمح للوح كله من الطفولة للكهولة بقدمي.

الحب حظيرة مقلقة يا اليس. أما الخيل فتحينئها للعيادين المغفوحة.

خلقت اليمامات باجحة كي تاتي

بالوحي من السماء السابعة. ففهي تذهب إلى سدره المنتهي، وتعود من هناك بحوصلة مليئة بالأناشيد. تحلق وتنتشد باسم الله.

ثم تحط، بعد أن تفرغ وحدها، على أسلاك الضغط العالي كي ترقب فعل التشيد في الناس الذين لا أجنحة لهم.

هل أدركوا شيئاً؟ هل نفهم الوحي الذي حملته في حواصلها؟ لا شيء يدل على ذلك. يرد الناس يعبرون الشارع وأعينهم بين أقدامهم كما لو أنهم لم يسمعوا. يمشرون الغسيل على الحبال من دون أن ترتعش قلوبهم.

لكن اليمامة لا تكترث. لقد أوصلت رسالتها، وانتهى الأمر.

تقف على أسلاك الضغط العالي لحظات تتطلع يمنة ويسرة، ثم ترمي بذرقها، وتطير باحثةً عن عيदान تبني بها أعشاشها. هناك وقت للأناشيد والأغنيات، ووقت لبناء الأعشاش. فخلّ لك إذن، مثل اليمامات، وقتاً تجمع فيه عيदानك، وتبني عشك.

الألم كتاب ضخم بصفحات لا تُعد. وعلى كل واحد أن يقرأ منه شيئاً. هناك حاجز على الجسر يسالونك فيه إن كنت قد قرأت نصيبك من كتاب الألم. لا يمكن العبور من دون أن تكون قد قرأت على الأقل صفحة واحدة من هذا الكتاب.

وهكذا تلتطّح بالحناء صدره، وظلّ جناحه ملكه.

كلمات

كلمات



ثوبها.

يحط على شجرة الرمان، وبمنقاره يفرط عقيقتها.

يده الملتخة بالنار أنقذته.

وعصناً واحداً من أغصاني، ثم مضيت في طريقي. هذا على الأقل ما أتذكره الآن.

إنهيا الذين كان عبورهم في الممرات الصخرية الصعبة لطريق الألام. يا من قرأوا فصولاً لا عدّ لها من كتاب العذاب. خطوا لنا كلمة كي نحس بالكم العظيم.

هناك شوق ما. أو قل هناك ياس ما. أو ربما نقطة على الخط الواصل بينهما. وعليّ أن أصل بهذا الياس أو بهذا الشوق إلى مصتها. لم أصل بعد. لكن الصالة مضاءة. وهذا هو الجيد في المسألة على الأقل.

القط متوثب والصالة مضاءة. لا يمكن رؤية العصفور، لكن القط متوثب. وهذا أقصى ما يمكن لي قوله.

عددت زهور الكتان في الحقل كله يا سربن مرات ومرات، وفي كل مرة أخطئ في عداها. الخطأ حرفة من يتبح سربن. أعيدها زهرة الكتان. وأعيده طائر الشبان الذي يخطئ هو أيضاً في العد من واحد إلى اثنين.

أيها الصيف المثلّهب. أيها الخية الذي رمت نسرين دفتر يومياتها في الحديقة. رمت الطيور على قمم الأشجار. ورمت الصخور في التلال. ومضت.

وها أنا أجلس كل يوم تحت شجرة الجكرندا وأقرأ دفترها.

وما الذي يمكن لطفل على صدر أمه أن يفعله غير أن يعض بسنّه كل صبيحة خدّها؟

وقّعت الطيور جميعاً وثيقة تشهد بأن أجنحتها منحة، وأنها قد تُسَرد في أي لحظة.

جاء هذا في كتاب كليله ودمنة، أو في كتاب شبيهه، في ما أظن.

لكن طائر أبي الحناء الأحمر الصدر لم يبصم على الوثيقة.

مسح بكفه الملتخه صدره بدل أن يبصم على الورقة.

ولقد يبدي آخر تمرّة على النخلة. وحين مضغتها حلّ الشّفاء وما كان أغرب هذا. لكنني لا أكثرث بالفصول أبداً. الفصول عنزة شاردة، وعنزة عائدة، أما المطر

فلعل يمحط أنفه بكمه ويكي. لذا لا تسمح لأحد أن يعتادك. وأمس أبصرتك في الصبيحة من نافذة المفهى وأنت تمشي تحت المطر. ولم أناد عليك. جعلتك تمضي كأنني لم أشبك خنصري بخنصرك يوماً.

الحب عادة قبيحة ينبغي تركها تمضي بلا مظلة تحت المطر. باضت اليمامة بيضة صغيرة فاتكسرت الجرة.

باضت الريح حجراً كبيراً فوق الصخرة.

عصفور في اليد، وعشرة على الشجرة. العصفور السذي في اليد هو ذاتي. والعشرة التي على الشجرة ذات نسرين.

وقد عرّمت على أن أطبق ذاتي. على أن أطلقها من أجل نسرين.

اعبري السماء يا نسرين، فأنا أخط طيّارك الورقية. أنا ذلك الملون الطويل.

أعبري ولا تعودي. فليس بالعودة يجيا الإنسان بل بالياس منها. ليس بالمحبة بل بفقدانها.

طيارة نسرين تجوب الأفلاك والسموات.

وأنا على الأرض أنحلّ مثل كبة خيطان كي يستطيل حبلها، ويمتد مداها.

وجودي واحد لا يبيل ظمأ. أما وجود نسرين فمضاعف كالعناقيد.

يجب أن يكون هناك أمل ما حتى ولو كان مثل قط مريض يئن على الكنية. حتى ولو كان مثل فراشة عدّ ترجب بجناحها قبل شروق الشمس وجوهنا وأفواها.

ولا أقهملك يا حبيبي على أسدحك. فأقترني وراء كي أعرفك، أجعلني العربة الأخيرة في قطارك.

كانت الشمس في برج النار. وكان الليل سعادة تقتل أختها ثم تنكبها في تحتها.

أعطني تاجك العظيم، تاج كسرى، لكي أكسره. أعطني كفك الرحيمه كي أقطع بفأس الياس سلايماتها.

لو كُنتُ يبدي آخر تمرّة على النخلة. وحين مضغتها حلّ الشّفاء وما كان أغرب هذا. لكنني لا أكثرث بالفصول أبداً. الفصول عنزة شاردة، وعنزة عائدة، أما المطر

تهيمن أنفاس العازفة الزرقاء على المسرح، تبندل حركة رأسها «السانية» من اليمين الهابط إلى اليسار الصاعد ثم اليمين الهابط.. مغمضة العينين محرورة/ ممرورة النفس كأنما تستقي أنغامها من جوف مجرة. تصعد بها من يمين الدرك الأسفل للألم البشري إلى يسار السدره العليا للجوح الإنساني، ثم تهبط بها من حوالٍ إلى المنضرات العطشى فوق المنضدة الصغيرة، فيبدو العالم من ورائها أزرق كأنما كله بحر.. أو كله سماء.

تتهطل النغمات على النظارات.. يصفو العالم. تغفو الطبيعة.. يتطو الإنسان.. يُرذُّ الكون حزام فاطمة الزهراء. تسكن حركة يد المايسترو المدودة في أعلى. تسكن كل الحركات على المسرح.. تتحرك القاعة في عاصفة من التصفيق والقيام والإبتسام المعجب المبهور.

بلو ماركابت
 _ من دون
عنوان (رنة)
 على ورق
 × 22,9
 _ 15,2 سنتم
 × (2011)

أدار المايسترو وجهه إلى الجمهور الواقف المصفق. مد يده تلقائياً إلى العازفة الزرقاء عن يمينه.. ولكن بدأ لم تمسك يده.. التفت، فلم ير العازفة بجانبه، لم يرها واقفة ولا جالسة ولا نائمة ولا عازفة ولا صامخة ولا حتى منطرحه جسماً بلا روح. لم ير في مكانها الخالي إلا نظارة بدون عينين، وآلة نفخ بدون شفاه. ومع الفتاته كان الجمهور يلتفت، وكان العازفون يلتفتون، ومعه أيضاً كان غياب العازفة بخرسهم. وفي الصمت الشامل العميق، لم يكن يسمع إلا مزيجاً خافتاً من الزفر الناعس والهفّهفات والرفرفرات العابرة والحفيف الخفي، يشبع في فضاء القاعة، مزيج خافت يتفأقل ويتداخل وتمحي حروفه فيتأشش ويتغذّب ويتلأشش ويتسرب مع الأوكسجين، إلى رثات الحاضرين.

* الدار البيضاء،المغرب

شعر

زراوند(*)

زكريا محمد

فجأة ردّ لي الموت ما أخذه مني. وقفّت عريته أمام بيتي، وانزلت كل شيء: أحبتي الذين اختطفهم مني، أصدقاء طفولتي، والأمل بتنورته القصيرة. لم يعد لدي ما أبكيه. استطيع الآن أن اضع نعلي تحت راسي كي أأخذ عغوة طويلة.

غير أن فاختة نأحت على الدالية. لم الفواح يا فاختة؛ إلا ترين أن أخي القاتل هابيل قد عاد؟ إلا تصيرين كيف عاد الأمل يلغ مثل طفلة في الثالثة من عمرها؟

ردت الفاختة بصوت لا رحمة فيه: «ما

أيتها الكذّابة. سوف أكسر عنقك. سوف أكسر المنبر الذي تعظّين فوقه، الكون دائرة. وكل شيء يسافر من نقطة على محيط الدائرة ثم يعود إليها. والموت ذاته حضان يجري على هذا الحيط. يحمل حملة ثم يفسّخه. يأخذ القاتل ثم يردّه.

بدرت الفاختة ثانية: «لا، لا. الموت حرّات. يصبح ببغلتة: دي... دي، ويشقّ لثمه الطويل لثمه لا يتوقف أبداً، وبغلتة لا تردّ».

سحبت الفاختة نعلي من تحت راسي. خزيت الحفل الكبير الذي كنت أنوي أن أبدأه.

تساقطت زهور شجرة الجكرندا الزرقاء على كتفي وعلى الطاولة أمامي. ولم أكن أفعل شيئاً. كنت أنظر لأغصانها وهي تسقط مطرها فوقي، وأنظر للسماء من فرجات أغصانها.

وفكرت أن على هذا المشهد أن يكون المشهد الأخير في فيلم حياتي. تعال يا عمارة، يا أخي، صوّرتي هنا تحت الجكرندا. ولكن الفيديو دقيقة واحدة. دقيقة واحدة فقط. ثم احفر لي بعد ذلك بيدي قبري.

لكن أريدك أن تضمن لي أن هذا الفيديو سيعرض على الشاشة بلا توقف ينتهي ليبدأ من جديد، ثم ينتهي ليبدأ من جديد، هكذا إلى الأبد.. فهذا هو الخلود الذي أردته يا عمارة. جسدي سيتحلل



الرسم

لزكريا

محمد



2017-03-31

■ ■ ■

الياس سلطة كبيرة على صدري. لكنني أطبع كفي المحناة على الصخرة، وشفتي المحصومة على المرأة.

2014-02-01

■ ■ ■

للخبيبة أفواه كثيرة. وهي تغني بها جميعاً.

2016-02-08

■ ■ ■

أفكر بالكلمات كما لو أنني طائر يعترض الحشرات في الجو. يأخذها بمنقاره، ويُعدها فوراً.

لا، ليس هكذا. الأمور أعقد قليلاً من هذا. الأبد مثلاً كلمة كبيرة تملأ الكف كأنها حجر. ساضرب بها جبين الموت.

أما الصمت فكلمة سوداء مثل سراج أطفأ نفسه بنفسه.

صعوا حجاباً على عين الشاهين، خطوا متنقاره، فالكلمات تقفل مثل أضاح في العتمة.

2016-06-19

■ ■ ■

بدي اليسرى تعاكس اليمنى، فأعجز حتى عن إشعال شمعة. فأنا حبيس الزجاج والقصدير: حبيس المرأة.

ومن هناك أعني لكم: اللحن ليس لي، ولا الكلمات. أنا المؤذي فقط.

المرايا تحزّب كل شيء: لا شيء يمسك بشيء، وكل شيء قابل للكسر.

أكسرتني بالخصا إن أردت، أكسرتني كأنني جرة فخار.

2016-09-12

■ ■ ■

أغني في الليل لكي يكون النهار شقيقاً لليل.

وإلا كيف أضمن أن يظل جحشاي البلبدان، ليلي ونهاري، معاً؟

سيفلتان إن لم أقيدهما بحبل الغناء الغليظ.

خذوا مني ما يلصق ليلكم بنهاركم وخذوا أيضاً ما يفلت خيطكم من إبرتكم ما يجعلكم عرييين حتى عن أنفسكم.

2013-08-21

(*) مقتطفات من ديوان بالعنوان نفسه يصدر قريباً عن «دار الناشر» رام الله/عمان.